وسائل التّواصل الاجتماعيّ ومزلق

"حفرة الانهدام الفكريّ"

الدكتورة عريب محمّد عيد

باحثة من الأردن

الخميس ١٠ شعبان ١٤٣٩هـ - الموافق ٢٦ نيسان ٢٠١٨م

الملخّص

لقد مضى زمنٌ كان فيه الباحث الجادّ يشمّرُ عن ساعديه، وتتورّم قدماه سعيًا وراء معلومة يوثّقها في كتابه أو بحثه؛ لنجدنا اليوم في عصر المثاقفة والوجبة المعرفيّة السّريعة؛ تصلنا دون جهدٍ، وهي متاحة في أيّ وقتٍ ومكان، بلا قيود أو مراجعة أو رقابة، ونشأ ما يسمّى بالفضاء الإلكترونيّ بما يحويه من المجتمعات الافتراضيّة بدءًا من البريد الإلكترونيّ، ومرورًا بغرف الدّردشة، ووصولًا إلى مواقع التّواصل الاجتماعيّ كالفيسبوك، والتويتر، واليوتيوب وغيرها، وغدت هذه المواقع النّموذج الحيّ للعولمة والأكثر رواجًا ومتابعة؛ وقد جاءت هذه الدّراسة للوقوف على أثر هذه الوسائل التّقنيّة في الجانبين الفكريّ واللّغويّ في حياة الإنسان العربيّ، وتتبعُ منهج اللّسانيّات الاجتماعيّة في تحليل الخطاب الإلكترونيّ، في محاولة الإجابة عن السّؤالين التّاليين: هل يمكن أن تنزلق بنا وسائل التّواصل الاجتماعيّ إلى "حفرة الانهدام الفكريّ"؟ وهل تقودنا هذه الحفرة إلى حفرة أعمق وأشدّ خطرًا هي "حفرة الانهدام اللّغويّ"؟

الكلمات المفتاحيّة: وسائل التّواصل الاجتماعيّ، الانهدام الفكريّ، الشّابكة.

Social media and slipping into "the pit of the intellectual destruction"

Dr.Oraib Mohammad Eid

Abstract

It has been a while since a researcher was having difficulties, sweating and swelling his feet in pursuit of documented information for his books or researches. We find ourselves today in the era of the quick intellectual, cognitive meal that reaches us without any effort. In just a click, it is available at anytime and anywhere without restrictions or control. The so-called Cyberspace has been initiated. It includes virtual communities ranging from e-mail, through chat rooms, and to social networking sites such as Facebook, Twitter, YouTube and others. These sites have become the living model of globalization and the most popular to communicate and get in touch among people. The purpose of this research is to look into the impact of these technical media means in the intellectual and linguistic aspects of the Arab man's life, and follows the social linguistic in the electronic discourse analysis in an attempt to answer the following two questions: Can social media drag us into the "pit of the intellectual destruction"? Does this hole lead us to a deeper and more dangerous one, i.e, the "pit of the linguistic destruction"?

Key Words: Internet, Social Media, Intellectual Destruction.

إطلالة:

وصل الإنسان اليوم إلى ثورة التّواصل الإنسانيّ التّكنولوجيّة، وظنّ بها أنّه وصل إلى قمّة الهرم المعرفيّ، ومنهل المعلومات الذي لا ينضب، يصبّ فيه ما يريد من أخبارٍ ومعتقداتٍ وآراء وأفكار وأخلاق وعلوم ومعارف تساير إيقاع حياته السّريع، وتلبّي حاجاته في النّموّ المعلوماتيّ، وتشبعُ شغفه في الاطلاع على كلّ جديد في هذا العالم بجهدٍ قليل وأخفض تكلفة؛ فتنامى تفكيره مع توسّع رقعة طموحاته، وتقدّم العلوم وتحقيق المنجزات، وتسجيل الاختراعات المتلاحقة إلى العمل الدّؤوب على تحسين وسائل التّواصل بشكلٍ مستمرّ ومتسارع؛ ليتماشى مع العولمة التي حوّلت الدّول في شتّى أصقاع الأرض إلى عوائل تتواصل اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا إلخ، وإن لم تربطها وشائج الدّم أو الانتماء أو العرق أو الجنسيّة أو المعتقد أو التّاريخ...؛ فكرة في ظاهرها برّاقة ومقبولة ومتاحة؛ لكنّها تبطن بعض الخفايا التي يجب الوقوف عليها، وسائل قد ترفع من شأن الإنسان وتقوّي شأوه، وتغيّر سبل حياته ونمطها، وتسهّل تواصله مع الآخرين، وتسِمُه بوسم الفرد المتحضّر المواكِب لسُفن المعارف والعلوم؛ إذ تبحر به عبر القارات، متجاوزة كلّ العوائق ومتخطّية كلّ الحدود، فتغدو بذلك جزءًا مهمًّا من الحياة لا يمكن التّغاضي عنه أو تجاهله؛ فهي تكفل له محيطًا ثقافيًّا واسعًا ونظرة أشمل إلى العالم، وتأثيرًا أعمق في التّواصل الإنسانيّ وأوسع انتشارًا، وقد جاءت هذه الدّراسة للوقوف على أثر هذه الوسائل التّقنيّة في الجانبين الفكريّ واللّغويّ في حياة الإنسان العربيّ؛ وهو ابن بيئته العربيّة الخاصّة، وفرد ينفتح على العالم، يطلب ما لم يحصّله في مجتمعه الصّغير؛ ليفيد من هذه التّقنيات ويستفيد؛ لعلّه يجد فيها ما يُثمر؛ ويجني بها نتاجًا يعود عليه أو على مجتمعه بالنّفع.

وتتبع الدّراسة منهج اللّسانيّات الاجتماعيّة في تحليل الخطاب الإلكترونيّ، وبيان أبعاده، وتبيّن أهمّ المضامين الفكريّة في هذه الوسائل التي تسهم في تكوين

الأخاديد الإلكترونيّة الحديثة، وحركة "صفائح التّواصل الاجتماعيّ" المتعاقبة والمتتابعة في الإنسان العربيّ على مدى عقدين من الزّمان، ثمّ توضّح أثر هذه الوسائل في فكره ووعائه اللّغويّ، وتقف على شكل الوسيط اللّغويّ النّاقل للمضامين الفكريّة في الفيسبوك والتويتر واليوتيوب نموذجًا، ثمّ تبيّن العوامل التي تشكّل تصدّعات المنظومات القيميّة والأخلاقيّة الجديدة؛ لتكوين تضاريس الفكر العربيّ الإلكترونيّ الحديث، والنّتائج المترتّبة على هذه التّصدّعات الفكريّة وقالبها اللّغويّ العربيّ المستخدم، وأثره في المتلقّي العربيّ، ثمّ تنتهي بطرح السّؤال المفتوح: إلى أين سيصل عمق "حفرة الانهدام الفكريّ"؟

بين يدي المصطلح:

التّواصل لغة[1]: من وصل، بمعنى اتّصل، والوصل هو الرّبط بين كائنين أو شخصين، بإيجاد علاقة بينهما، والتّواصل ضدّ التّصارم، ونقول وصل الشّيء بالشّيء؛ انتهى إليه، وأوصله[2]، والوصل خلاف الهجران والفصل، واتّصل لم ينقطع[3]. و**اصطلاحًا**[4]: هو تفاعل اجتماعيّ يهدف إلى تقوية الصّلات الإنسانيّة بين الجماعات، بتبادل المعلومات والأفكار والمشاعر التي تؤدّي إلى التّفاهم

---

(١) أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور محمّد بن مكرم بن عليّ (٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، مكتب تحقيق التّراث، دار إحياء التّراث، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٥، ص٣١٨.

(٢) محمّد محيي الدّين عبدالحميد (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ومحمّد عبداللّطيف السّبكيّ (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، **المختار من صحاح اللّغة**، دار سرور، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٧٥.

(٣) أبو طاهر مجيد الدّين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازيّ الفيروز آبادي (٨١٧هـ/١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التّراث، مؤسّسة الرّسالة، ط١٦، بيروت، ١٩٩٨م، ج٤، ص٦٦.

(٤) **عريب محمّد عيد، علم لغة الحركة بين النظريّة والتطبيق**، دار الثقافة، ط١، عمّان، ٢٠١٠م، ص٢٨.

والتّعاطف والتّحابّ أو التّباغض، وفيه تستخدم قنوات من الرّموز: أحرف، أو كلمات، أو أصوات، أو حركات، أو رسوم... أو أيّ شيءٍ يعملُ منبّهًا للسّلوك. وما الاتّصال إلا ترامز؛ فالإنسان يرسل الرّموز أو يستقبلها؛ يحلّ معمّياتها ويفسّرها وفق سياقه الثّقافيّ، أو الاجتماعيّ، يضفي عليها الفهم، ويكسبها القدرة على التّأثير(١).

والتّواصل سمة اجتماعيّة، وإذا رأى "بارت" أنّ المركّبات الثّقافيّة تقوم بدور العلامات الّتي لها في ذاتها معانٍ، أو أنّها تعبّر عن معان؛ فالمظاهر الثّقافيّة "غير اللّسانيّة" مفعمة بالدّلالات، وتتكوّن من عدّة أنظمة دالّة ما دام لكلّ سلوك معنى، وما دُمنا نتواصل بواسطة السّلوك.

وهذه الأنظمة العلاميّة في التّواصل تتراوح بين الأنظمة الأقل تعقيدًا ابتداءً من نظام الأكل واللّباس، والطّقوس الدّينيّة، والعادات والتّقاليد الاجتماعيّة، والفنون، واللّغات الطّبيعيّة والاصطناعيّة...؛ وانتهاءً بموجة المعلومات، وعالم الحواسيب الّذي يغزو حياتنا اليوميّة، ويملؤها بالأرقام، والصّور، والصّوت، والبطاقات الممغنطة، والشّاشات المتلفزة، والفضائيّات والشّابكة إلخ، فأصبح لها الصّدارة في شتى فروع المعرفة.

لقد غدت الاتّصالات عصب عصر المعلومات، وقد حرصت الشّعوب على إنشاء طرق المعلومات السّريعة، فكان مفهوم "تكنولوجيا الاتّصال" يتكوّن من مجمل المعارف والخبرات المتراكمة المتاحة، والأدوات والوسائل الماديّة والتّنظيميّة والإداريّة المستخدمة في إنتاج المعلومات وجمعها وتخزينها

---

(١) **عريب محمّد عيد، علم لغة الحركة بين النّظريّة والتّطبيق**، المبحث الثّاني (الاتّصال)، ص٢٨-٤٨.

واسترجاعها ونشرها ثمّ تبادلها[1]؛ وتوصيلها إلى الأفراد والمجتمعات، وتجربة تطبيق ذلك عمليًّا، ولها جانبان: فكريّ معرفيّ، وآخر ماديّ تقنيّ، ويتمثّل في التّطبيق العلميّ للاكتشافات والاختراعات في مجال المعلومات ونقلها بالتّصوير الفوتوغرافيّ والطّباعة، وأساليب معالجة النّصوص والصّور، وهذا المصطلح يتّسع ليشمل "تكنولوجيا المعلومات"[2] الّتي أحدثت ثورة الاتّصال والمعلومات الأولى في منتصف التّسعينيّات، وأصبح تواصل الأفراد الفاعل عبر مواقع الويب (Web).

وقد وجد الأفراد غياب المصداقيّة في الوسائل التّقليديّة، وانحيازها إلى قوى السّيطرة والهيمنة في المجتمعات، فاتّجهوا إلى وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ففيها مساحة من الحريّة الفكريّة والثّقافيّة، بعيدًا عن التّبعيّة أو القيود؛ فظهرت المجتمعات الافتراضيّة في الشّابكة؛ ضمن ما يسمّى تكنولوجيا الواقع الافتراضيّ (Virtual Reality)؛ إذ تعبّر عن استخدام التّكنولوجيا الرّقميّة في الاتّصال (Digital Communication)، وتعتمد مواقع (Web) والفيديو والنّصوص والصّوت إلخ؛ فهو اتّصال اجتماعيّ عن بُعد، بين أطراف يتبادلون الأدوار في بثّ الرّسائل التّواصليّة المتنوّعة، واستقبالها خلال النّظم الرّقميّة[3] في الفضاء الاتّصاليّ الذي يتمّ فيه اندماج الوسائط السّمعيّة والبصريّة وتعدّدها؛ فشاع استخدام مواقع التّواصل الاجتماعيّ المجانيّة؛ إذ تُمكِّن المُستخدمين من التّواصل المباشر، ومشاركة الاهتمامات والفعاليّات والبحث عن أصدقاء ومعرفة الأخبار

---

(١) انظر: حسنين شفيق، **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)، تكنولوجيا جديدة في عصر ما بعد التفاعليّة**، دار فكر وفنّ، ط١، ٢٠١١م، ص٢٢.

(٢) انظر: محمّد فهمي، **فنّ الاتصال في الخدمة الاجتماعيّة**، دار الوفاء، ط٢، الإسكندريّة، ٢٠١٠م، ص٢٣٦.

(٣) انظر: **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)**، ص٥٤.

إلخ، ومنها: موقع (Facebook)[١] وفيه يكتب المستخدِم (المرسِل) نصوصًا أو يحمّل فيديوهات ويشاركها مع الأصدقاء، ويرسل هدايا افتراضيّة مع رسائله وتعليقاته[٢]، ويسمّى المتلقّي صديقًا، والمادّة التي ترسَل منشورًا أو (بوستًا Post). وموقع (Twitter)[٣] يسمح لمستخدميه (المغرّدين) بإرسال تحديثات تسمّى (تغريدات Tweets)، والتّغريدة ما يكتبه المستخدم في مربّع النّصّ من مشاركات أو ردود[٤]، وهي أشبه بـ"التّوقيعات الإلكترونيّة"؛ لقصرها وسرعة تداولها عبر الشّابكة، واقتضاب محتواها، وتمثيلها لفكر مغرّدها، والمتلقّي يسمّى متابِعًا؛ وقد جذبَ الموقع لفاعليّته وتأثيره ٧٥% من زعماء العالم للاشتراك عام ٢٠١٣م، حسب دراسة أعدّها مجلس السّياسة الرّقميّة الأمريكيّ[٥]، وهو أكثر المواقع عُرضة للقرصنة (الاختراق)، كما تقلّ فيه الخصوصيّة؛ إذ يتحوّل الموضوع الخاصّ إلى حقل عامّ خلال ثوانٍ، وأمّا موقع

---

(١) أطلق رسميًّا عام ٢٠٠٤م، يسمح للمستخدمين اكتشاف أصدقاء عبر الشّابكة، ويحمّل صورًا ومعلومات، أنشأه شاب أمريكيّ (Marc Zuckerberg) مع مجموعة من زملائه في قسم الحاسب في جامعة هارفرد، انظر: خالد المنصوريّ وآخرون، **إطلالة معرفيّة على شبكات التواصل الاجتماعيّ (فيسبوك، تويتر، يوتيوب)**، ط١، دبي، ٢٠١٣م، ص١١.

(٢) تشير الإحصائيّات بداية عام ٢٠١٧م إلى وجود حوالي ١٥٦ مليون مستخدم في الدّول العربيّة للفيسبوك، بزيادة ٤١ مليون مستخدم مقارنة بعام ٢٠١٦م، الّذي كان فيه إجمالي عدد المستخدمين ١١٥ مليونًا. نقلاً عن موقع كليّة دبيّ للإدارة الحكوميّة، الإصدار السّابع "**الإعلام الاجتماعيّ في العالم العربيّ**" http://www.mbrsg.ae/home.aspx?lang=ar-AE

(٣) انظر **إطلالة معرفيّة على شبكات التواصل الاجتماعيّ**، ص٢٠.

(٤) نشأ هذا الموقع في ٢١ آذار عام ٢٠٠٦م، فقد قام شاب أمريكيّ يدرس البرمجيّات (Dorsey (Jack بإطلاق أوّل تغريدة، وأطلقت النّسخة العربيّة عام ٢٠١٢م، **المرجع السّابق**، ص٢٢.

(٥) حسب مقال منشور في موقع جريدة الإمارات اليوم الإلكترونيّ، بتاريخ (٦) كانون الثّاني ٢٠١٣م.

(YouTube)[1]، فيستطيع المستخدمون خلاله تحميل مقاطع فيديو ومشاهدتها ومشاركتها مع الآخرين[2].

حفرة الانهدام الفكريّ[3]: هي السّبب التّكنولوجيّ في أجلى صوره لتكوين المعالم التّضاريسيّة الجديدة في فكر الإنسان في العالَم بشكل عام، وفي الدّول العربيّة بشكل خاصّ، فهو صدْعٌ فكريّ ومعرفيّ ومعلوماتيّ كبير، منفتحٌ على الآخر، وقد بدأ هذا الشّقّ الكبير بالتّشكّل في العقود الثلاثة الأخيرة، ومنذ لحظة الانفتاح على العالم الكبير بانتشار الهواتف المحمولة، واختراع الحاسِب، واستخدام الشّابكة، والتّفاعليّة خلال الوسائط المتعدّدة، ومواقع التّواصل الاجتماعيّ إلخ؛ إذ أسهمت هذه التّقنيات في اتّساع الهوّة وتعميق الشّقّ، وأحدثت حركة الصّفائح الإلكترونيّة السّريعة والمتتابعة هزّاتٍ في أنماط حياة الأفراد وأدمغتهم؛ فغيّرت أفكارًا وقلبت مفاهيم وخلخلت معتقدات، وفرّقت مجتمعات وأدخلت ثقافة التّغريب الّتي لا تفتأ تخطّ عادات وتقاليد جديدة، وترسم مظاهر تكنولوجيّة يعيش بها الأفراد، ويتعلّقون بها، وبعضهم لا يملك الفكاك منها أو الانعتاق.

المضامين الفكريّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ: شكّلت وسائل التّواصل الاجتماعيّ الإعلام الّذي يدخل كلّ بيت، ويتغلغل بهدوء إلى ثنايا الأسر العربيّة ويصبّ في روافد الرّأي العام؛ فيبثّ المضامين الفكريّة الّتي تؤثّر في المتلقّي العربيّ، وتكوّن الأخاديد الإلكترونيّة الّتي بدورها تسهم في تشكيل حفرة الانهدام الفكريّ:

---

(١) بدأ في ٢٠٠٥م، وكان أوّل ملف فيديو في (YouTube) عنوانه (Me at the zoo)، لأحد مؤسّسي الشّركة (Jawid Kareem)، انظر: **إطلالة معرفيّة على شبكات التّواصل الاجتماعيّ**، ص٣٨.

(٢) يعدّ موقع اليوتيوب ثالث أشهر مواقع التّواصل الاجتماعيّ مشاهدة بعد (Yahoo) و(Google) حسب تصنيف أليسكا العالميّ، انظر: **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)**، ص٢١٣.

(٣) المصطلح للباحثة.

المضامين الاجتماعيّة: تركّز الرّسائل التّواصليّة في هذه المواقع على الأيديولوجيّات الموجّهة إلى المجتمع العربيّ بخصائصه الدّيموغرافيّة المختلفة كالجنس، والعمر، والمستوى التّعليميّ...، وتعبّر عن تطلّعات أبناء المجتمعات العربيّة مثل الوحدة الوطنيّة أو القوميّة، وتحقيق الذّات والبحث عن الشّهرة، والعمل المهنيّ أو التّطوّعيّ أو إبراز المواهب في مجالات الغناء والرّسم التّشكيليّ والتّمثيل[1]، ومتابعة أخبار الفنانين والمشاهير، وآخر صيحات الموضة في الملبس[2] والمطعم وأنماط السّكن والمعيشة الّتي تعتمد التّقنيّات الحديثة إلخ.

ولعلّ هذه الأيديولوجيّة التّقدميّة في ظاهرها مغرية وجاذبة؛ لكنّها غير بريئة؛ فهي تنادي بالتّخلّي عن العادات العربيّة والتّقاليد الموروثة من أجل إحداث التّغييرات الجوهريّة في فكر الإنسان العربيّ، بعدّها من مستلزمات الحضارة التّقنيّة المتقدّمة، وثمّة أصوات تنادي بالمحافظة والتّقنين والاعتدال في التّلقّي، ويعدّهم البعض أصحاب فكْر رجعيّ يعيق التّقدّم ويدعو للانسحاب والتّقهقر، وفي كلّ حال، فالأيديولوجيا تحكمها مصالح معيّنة ظاهرة أو باطنة، وليست منفصلة عن الواقع.

إنّ تسريب مضامين فكريّة اجتماعيّة فيها طابع التّغريب يشير إلى معالم مجتمع تكنولوجيّ افتراضيّ يحاول العربيّ أن يتكيّف معه، ويجد لنفسه موقع قدمٍ فيه، فهو بفتحه حسابات إلكترونيّة خاصّة في الفيسبوك أو التّويتر وغيرهما، يشعرُ أنّه فردٌ اجتماعيّ فاعلٌ ومنسجمٌ مع متطلبات عصره، يعبّر عن رأيه؛ فيعلّق على منشورات، ويقيم دردشات، ويتعرّف أصدقاء جددًا دون قيود، ويضيف معلومات ويعدّلها، ويشارك أصدقاءه في نشاطاته الاجتماعيّة اليوميّة

---

(١) مثل: مسابقات الجمال، والمواهب (Talent, Arab Aidle, The voice) وغيرها، وهي برامج مفرّغة من محتواها الفكريّ القيّم، ونسخ مكرورة من برامج غربيّة.

(٢) ومن ذلك ظهور جماعات غريبة ترتدي ملابس ضيّقة جدًّا، عليها خربشات لنجوم (Hard Rock)، تميّزهم خصلات شعر ورديّة، أو لون نبيذيّ فاقع، مع ارتداء سلاسل معدنيّة كثيرة في الرّقبة وأماكن أخرى في الجسم، ويُعرفون بجماعة (الإيموز Emos).

في عالمه الافتراضيّ، ويبثُّ رسائله المكتوبة أو المصوّرة عبر لقطات الفيديو أو الصّور الفوتوغرافيّة، فغدت التّهاني والتّحايا للأقارب والأصدقاء بكلمات وعبارات وصور تُغني عن التّزاور واللّقاءات الواقعيّة، وأحسب أنّ هذه العلاقات عبر هذه الوسائل تحدّد المسافة الاجتماعيّة بين أفراد المجتمع، فهي تسهّل على مستخدمها الاقتراب من بعض متابعيه أو أصدقائه أو أقاربه أو مغادرتهم بإلغاء العلاقة بهم (Un Followers)[1]، دون تبعات أو عتاب أو محاسبة أو علم الآخر أحيانًا، وقد يمنعهم من البحث عنه ومتابعته بعمل (حظر Block).

فهذه الممارسات التّواصليّة الاجتماعيّة تبدو جافة ومفرّغة من المفهوم الفعليّ العلائقيّ المفترض بين الأفراد في المجتمع الحقيقيّ، ولعلّنا نقيس هذا السّلوك التّواصليّ بمقدار التكيّف الاجتماعيّ الّذي تتطلّبه معطيات أيديولوجيّة جديدة، غيّرت أنماط حياة الإنسان العربيّ بوضع قواعد تحوي معايير وتقاليد وأعرافًا وأنظمة مصدّرة غربيّة، تحكمها سلطة ضابطة تتحكّم في حركة المجتمعات العربيّة وتوجّهها؛ بعدّها المستهلك التّكنولوجيّ الّذي يخضع لفعل التّجربة ثمّ البرهان إن جاز التّعبير.

ولعلّ الأيديولوجيا العربيّة تغيّرت؛ فما عادت في أغلبها ترتبط بقيم خلقيّة محمودة، ومعتقدات ثابتة، ودين، ومُثُل عليا، وتقاليد، وعادات متعارف عليها، وأعراف مألوفة وواجبات متوارثة؛ فقد غدا طلب الزّواج والزّيارة والتّعزية وتبادل الأخبار الاجتماعيّة الّتي تمسّ خصوصيّة الأسر ينشر للعوام، بلا تحفّظ أو قيود أو مراعاة للأطر المرجعيّة الّتي تحكم الأفراد؛ فتحدّد السّلوك المقبول أو المحظور اجتماعيًّا (Taboo)، كما سهّلت هذه المواقع مشاهدة الأفلام الإباحيّة، وأفلام العنف الّتي تتناقل بسهولة دون رقابة الأسر، ولنا أن نتخيّل حجم التّفكك

---

(١) سبقت الإشارة إلى تسمية المتلقّين بـ(Friends/Followers).

وانهيار القيم العربيّة عندما نجد ما يسمّى بـــ(الأكشاك الإلكترونيّة) الّتي تقــدّم لشبابنا خدمات النّصح والإرشاد والاستشارة؛ بدل الاستعانة بتوجيه الأهل الّذي بات ثقيلًا، فقد اتّسعت الهوّة بين الأجيال القديمة وأجيال التّقنيات الجديدة.

إنّ الحكم القيميّ على الأفكار الرَّائجة هو حكمٌ قيميّ على التّقنية كذلك، فنحن لا نستطيع الحدّ من انتشار مواقع التّواصل الاجتماعيّ واستخدامها، ولكن يجب أن نكون على وعي بطبيعة هذه الأدوات الحديثة، وطريقة توظيفها بشكلٍ إجرائيّ وتقنيّ مدروس، ولا يتأتّى ذلك إلا بشيوعها بين النّاس خلال التّداول وفهم آليتها، ثمّ حُسْن استخدامها؛ فتكون وسيطًا تقنيًّا حاملاً للأيديولوجيا الاجتماعيّة العربيّة بشكل فاعلٍ ومقنَّن، مع وعي تامّ بحريّة الشَّكل ونجاعة المضــمون؛ كمــا أنّ معاداة استخدام هذه التّقنيات قد يروّج لأيديولوجيّات مشوّهة الفكــر وإرهابيّــة التّوجه داخل المجتمعات العربيّة باسم الدّين أو الهوية أو الإمبرياليّة.

ويلاحظ تنامي تأثير وسائل التّواصل في المُكوّن الأيــديولوجيّ للإنســان العربيّ؛ ويظهر ذلك من الاستعداد النّفسيّ والميل الإدراكيّ إلى المبالغــة فــي السّلوك التّكنولوجيّ الّذي يمثّل ما يظهر في تصرّفات الأفراد، ولا سيّما الشّباب، مثل مكوثهم لساعات طويلة مع الأصدقاء الافتراضيّين خلال هذه المواقع أكثر من تواصلهم مع أسرهم وأقاربهم، وبعضهم يقضي ساعات منفردًا مع جهــازه ومنعزلاً عن الآخرين، بحثًا عن الجدّة أو استكشاف مواقع الشّابكة المتعــدّدة أو التّسلية، وقد يصل إلى حالة "التّوحد الإلكترونيّ"[1]، فهذه العزلة الاجتماعيّة قــد

---

(١) يُذكر أنّ قوّة الجاذبيّة في الرّسالة التّواصليّة تجعل المتلقّي يشعر اتّجاه المصدر بالاكتفــاء والرّضا، وهو لا يهتمّ بقوتي الثّواب أو العقاب، إنّما يتقبّل محــاولات المصــدر الجــاذب بالتّأثير على سلوكه أو اتّجاهاته أو آرائه ويسمح له بذلك؛ لإبقاء الاتّصال مستمرًّا بينهمــا، قد يصل إلى حالة التّوحّد التّام (Identification) حسب علماء النّفس والسّلوك الإنســانيّ، انظر: صلاح الدّين جوهر، **علم الاتصال (مفاهيمه ،نظريّاته ،مجالاته)**، مكتبة عــين شــمس، ط١، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٨.

تجرّه إلى ممارسات خاطئة أو ألعاب خطيرة بعيدًا عن الرّقابة الخارجيّة[1]، وإسراف وقت طويل باستخدام هذه الوسائل التّقنيّة يجعله يتعلّق بها، ويوصله إلى آفة خطيرة هي "الإدمان الإلكترونيّ"؛ فتصبح جزءًا من حياة الفرد لا يمكن أن يستغني عنها، ويُعَدُّ مستخدم الشّابكةِ مُدمنًا إذا جاوز (٤٨) ساعة أسبوعيًّا[2]، ومن أكثر العوامل الّتي تساعد في انتشار هذه الآفات التّقنيّة سهولة التّواصل الاجتماعيّ خلال الشّابكة باستخدام الهواتف النّقالة، وهي أحدث قفزات تكنولوجيا المعلومات الّتي تخوّل الفرد من البقاء متّصلًا عبر الشّابكة، وبتكلفة ماليّة معقولة، يستطيع تداول ما يريد من مواد وأفلام وصور ومعلومات مع أصدقائه ومعارفه عبر تطبيقات الهواتف الذّكيّة، وأشهرها: الواتس آب، وأنستغرام، وسناب شات وغيرها.

لقد ساعدت هذه الوسائل في اختراق خصوصيّة الأفراد، وتسهيل نقل الأخبار، وتصوير مآسي الآخرين وجراحهم عند التّعرضِ للكوارث الاجتماعيّة أو الطّبيعيّة أو التّداعيات السّياسيّة وضحايا الحروب، تُنشَر المعلومات والصّور كأنّها عرضُ ملهاة دون إحساس بالمسؤوليّة أو أخلاقيّات تراعي مشاعر الآخرين أو إنسانيّتهم؛ إذ تدفع أنانيّة المُرسِل أو رغبته في الظّهور لاستباق نقل الحدث، دون التّثبت من الوقائع، فقد تكون الرّسائل المتداولة متحيّزة أو مشوّهة أو منتقاة أو مسيّسة أو كاذبة.

وأحسبُ أنّ التفريغ الأيديولوجيّ للإنسان العربيّ جليّ ومظاهره متعدّدة، ففي الوقت الّذي نجد فيه النّخبة ممّن يمتلكون الزّاد المعرفيّ والعلميّ والموقع

---

(١) ظهرت لعبة (الحوت الأزرق) في روسيا عام ٢٠١٣، وأدّت إلى انتحار بعض الشّباب، فهي لعبة تطلب من اللّاعب القيام بمجموعة تحدّيات لمدّة (٥٠) يومًا، وفي التّحدّي الأخير، يُطلب منه الانتحار، وقد سجّلت حالات انتحار في العامين الأخيرين في بعض الدّول العربيّة مثل: تونس والجزائر والمغرب...، المصدر: ويكيبيديا، موضوع (الحوت الأزرق).

(٢) انظر: **إطلالة معرفيّة على شبكات التواصل الاجتماعيّ**، ص٤٩.

الاجتماعيّ المتميّز يحسنون توظيف هذه التّقنيّات الحديثة في بثّ رسائلهم التّواصليّة البنّاءة والهادفة والمنسجمة مع مستحدثات العصر المَعيش؛ فإنّنا نجد طبقة أخرى من المهمّشين أو العاطلين من العمل أو المضطهدين لا يألون جهدًا في التّفريغ السّلبيّ عن طريق نشر الشّائعات والنّكت الشّعبية وبثّ رسائل ملفّقة بأسلوبٍ شائقٍ جاذبٍ، موضوعاتها متعدّدة، وأهدافها متنوعة كـ: التّسلية والإضحاك، أو إحداث بلبلة في المجتمعات العربيّة، أو إثارة الكراهية والحقد بين النّاس أو نشر شعارات وأنماط فكريّة واجتماعيّة جديدة، أو قلب الحقائق والإتيان بالمستغرب والصّادم من الأخبار، أو تتبّع أخبار المشاهير والسّاسة ونجوم الفنّ والدّعاة.

وكثيراً ما يكون موضوع الشّائعة معاكسًا للإعلام الرّسميّ في الدّول، ويُعاد تكرارها فهي سريعة التّداول والرّواج، ولغتها تمثّل عادة لغة العامّة في تقديم الأخبار للمتلقّي العربيّ، ويرى (ألبورت ويوستمان) أنّ من العوامل الّتي تزيد من احتمال نجاح الشّائعة ندرة المعلومات المتّصلة بموضوعها وأهميّته للأفراد المعنيّين بالرّسالة، وغموض الأدلّة الخاصّة[1].

وللأسف، قد يُساهم بعض الإعلام العربيّ الإلكترونيّ في نشر الشّائعات لأهداف خاصّة، يقف عادة وراءها قادة الرّأي، والمصالح الخاصّة، ويروّجها العامّة عن طريق "الثّرثرة الإلكترونيّة"؛ فقد تحوّلت تداولات التّواصل في البيوت والشّركات والمؤسّسات التّعليميّة إلى صفحات الشّابكة ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، وغدا بعضها بلا قيمة أو فائدة فكريّة أو علميّة أو معرفيّة تُرجى، مُحرّكها الاستلاب القيميّ والأيديولوجيّ في الإنسان العربيّ، وفقدان تكامل الجماعة العربيّة وترك مقوّمات الوحدة والتّفاهم والتّعاضد؛ فقد فتّتت هذه التّقنيات العصريّة أواصر الأسر والشّعوب والدّول وجعلتها شرذمة ضعيفة، ولقمة سائغة في أفواه أعدائها.

---

(١) انظر: **علم الاتصال (مفاهيمه ،نظريّاته ،مجالاته)**، ص٩٢.

إنّ مَنْ يقف على الخلفيّة النّفسيّة لوعي الإنسان العربيّ سيدرك وحدة الأمزجة، وينظر للاستعدادين السّيكولوجيّ والأيديولوجيّ للأفراد، ويعزف على وتري العاطفة والإدراك العقليّ وحاجات النّاس ومطالبهم المختلفة ليستثمرها في جانب الدّعاية الإلكترونيّة، فهي محاولة للتّأثير في نفوس المتلقّين، والتّحكّم في سلوكهم لأغراض ذات قيمة في المجتمع، وفي زمن محدّد، وتختلف في تقسيماتها، فمنها: الدّعاية الأيديولوجيّة، ودعاية الشّعارات، سهلة الحفظ والتّذكر والتّرديد والمشحونة بالعواطف الإنسانيّة، والدّعاية التّشهيريّة المعادية، ويقصد بها الإساءة[1]، والدّعاية التّربويّة الّتي تسهم في تغيير مفاهيم تربويّة وتعليميّة وثقافيّة واجتماعيّة عبر تمريرها للأجيال النّاشئة في المؤسّسات التّربويّة والتّعليميّة، والدّعاية التّجاريّة، كابتداع مناسبات لشراء الهدايا مثل: يوم الحُبّ، ويوم الصّداقة، ويوم الأب...، وبشكل عام تتّسم الدّعايات بالتّزييف والمبالغة والتّهويل، وانتهاز الفرص، وأسلوب تحويل الأنظار، ومسايرة المتلقّي ومخاطبته على قدر عقله وميوله وحاجاته، مع التّكرار المستمرّ وقوّة الرّموز المستخدمة الجاذبة، وإن كانت تشوّه الحقائق وتحرّفها.

ومن الموضات الدّعائيّة الّتي تشيع في مواقع التّواصل الاجتماعيّ ما يسمّى بـ(الفاشينيستا[2] fashionista)؛ يطلق المصطلح على الفتيات اللّواتي يعشقن الموضات الحديثة، ويتابعنها، ويتّخذن من التّدوين عبر مواقعهن طريقًا لنشر إطلالتهن وتفاصيل حياتهن وأزيائهن إلخ، وقد بدأت الفكرة من مصمّمات الأزياء ونجمات الفنّ الغربيّات ثمّ انتقلت للفتيات العربيّات، ومنهنّ مَن يتّخذنها وسيلة لكسب المال والدّعاية للشّهرة والانتشار.

---

(١) للتّوسّع انظر: فهمي العدويّ، **إدارة الإعلام**، دار أسامة، ط١، عمّان، ٢٠١٠م، ص٢١٢-٢١٥.

(٢) يطلق على الرّجل فاشينيست.

ولعلّ الأيديولوجيّة الإلكترونيّة قوّضت بعض المُثل العربيّة والعادات والتّقاليد المحافظة، وأعطت مساحة من الحريّة للشّباب العربيّ لعمل ما لا يستطيع فعله في إطار الأسرة والمدرسة والجامعة الضّابطة والموجِّهة قبل هذه التّقنيات؛ فضعفت فيهم مفاهيم الانتماء والعروبة والدّين، ووجدنا هذا الانفتاح يفرز ما يمكن تسميته بـ"المواطنة العالميّة"، فلا يأبه الفردُ بالحدود والأقاليم والدّول وخصوصيّة المجتمعات العربيّة؛ فغدا في أسرة أكبر بانضمامه إلى هذه المواقع؛ فهي من توجّهه وتحكم سلوكه، وتؤدلج أفكاره، وتحتفي بمخرجاته أيًّا كانت، مواطنة ترفع شعارات المساواة الاجتماعيّة عامّة والمساواة بين الجنسين خاصّة، وتلغي التّمييز الطّبقيّ أو العرقيّ...، وظهر ما يسمّى بـ"الأسر النّوويّة"[1]، فصغرت العائلات وتشتّت أعضاؤها في مختلف أصقاع الأرض بحثًا عن حياة أفضل، وتحقيق الذّات والثّروة، وخاصّة مع قلّة الموارد، والبطالة، وغلاء المعيشة، وغياب الأمن إلخ؛ كما أنّ بعض الدّول الغربيّة ساهمت بإغراء الشّباب العربيّ وهجرته بتوفير سبل الرّاحة ومِنَح الدّراسة وفرص العمل برواتب مجزية، ممّا دفع إلى هجرة العقول المتّقدة.

المضامين الثّقافيّة: إنّ جوهر النّظريّة الاتّصاليّة يركّز على أنّ المجتمع يتشكّل ثقافيًّا بفعل مضمون وسيلة الاتّصال ذاتها، والمحتوى الرّقميّ لثقافة الشّابكة جعلها جزءًا أساسيًّا من الثّقافة المعلوماتيّة الإلكترونيّة العامّة، وبُنيتها اللامركزيّة تتيحُ لجميع مستخدميها نشر ما يريدونه، وفي كافّة الموضوعات والمجالات العلميّة والتربويّة والطّبيّة واللّغويّة والفنيّة إلخ، بلا رقابة أو قيد أو تقنين غالبًا، مع ما يصاحب ذلك من سرعة بثّ الرّسالة التّواصليّة الّتي يتلقاها المُستقبِل في ثوانٍ معدودات؛ وهذا دفع الكثير من مستخدمي المواقع والشّابكة من مؤلّفين

---

(١) هذا المصطلح للكاتب (مايكل هيل)، **أثر المعلومات في المجتمع (دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها)**، تعريب: مركز الإمارات للدّراسات والبحوث الاستراتيجيّة، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٤م، ص٢١٩.

ودُور نَشْر وباحثين إلى نشر إصداراتهم باستخدام تقنية الكتاب الإلكترونيّ (E. Book).

وينتشر ما يسمّى بالإعلام الشّعبيّ أو إعلام المجتمع، وهي معطيات الإعلام الجديد (البديل) الّذي ينتشر على نطاق واسع، يشارك في إنتاجه أفراد المجتمع في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، والمدوّنات والمنتديات وغرف الدّردشة الإلكترونيّة، ويدخل ضمنها ما يعرف بـ"صحافة الفيديو" الّتي تنتشر بشكل كبير في (اليوتيوب)؛ إذ تستخدم كاميرات الفيديو الحديثة والكاميرات الرّقمية وأجهزة الهواتف النّقالة في بثّ المشاركات عبر الشّابكة[1]، كلٌّ يسعى لتقييد سبقه في النّشر، أو تسجيل إبداعه في مجالٍ ما، بهدف الانتشار وعرض المُنتَج، والتّعريف به، مع ما ينشده الباث من تشجيع المتلقّي له، واستمالته لإظهار الإعجاب بخطابٍ أو صورة أو تسجيل صوتيّ أو مقطع فيديو، أو تسويق أيديولوجيّ أو مأرب ماديّ.

وقد كثرت في الآونة الأخيرة المنتديات الثّقافيّة العربيّة في مجالات متعدّدة، وساهمت في ترويج الكُتب وعقد المهرجانات الثّقافيّة والنّدوات والمؤتمرات والمسابقات وتجمّعات إشهار دواوين الشّعر وآخر إصدارات الكتب، وكثرت جوائز الأدب والشّعر تحت شعارات مثل: أفضل رواية أو مسرحية أو قصة أو شاعر العرب إلخ، وهي أشبه ما تكون بالمقايضات الفكريّة أحيانًا، فمنها ما تحكمه المنفعة الخاصّة والمشتركة، واعتماد المجاملات في العلاقة التّواصليّة بين طرفي الخطاب، على حساب جودة المُنتج الثّقافيّ ومضمونه وأحقيّته، وكأنّه شكلٌ من التّسليع، تحكمه المادّة لا الأيديولوجيات النّافعة أو الذّائقة الرّاقية لجمهور التّلقي، وأحسب أنّ هذا الزّخم من النّتاج الّذي يُنشر بهذه الطّرق يشكّل خطرًا على المنظومة الثّقافيّة العربيّة، فهو يفرز أنصاف مثقّفين وأرباع متعلّمين أو أقل؛ لما يستبطنونه من الرّغبة في الانتشار التّقنيّ في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، واقتناص فرصة الإنتاج

(١) انظر: **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)**، ص٥٤.

العابرة؛ كفقاعة سرعان ما يختفي ذكرها وأثرها، وقد برزت في صفحات التّواصل الاجتماعيّ ظاهرة وضع ألقاب وصفات قبل اسم الشّخص مثل: المؤلّف الرّائد أو شاعر العربيّة أو المنتِج المحترف إلخ، وهذه صفات يطلقها المتلقّي على من يستحق وليس منشئ العمل الأدبيّ.

وقد يعزى ما سبق إلى أنّ المضامين الخطابيّة الإلكترونيّة الّتي ترسل على غاربها (دون فلترة)، وتهتم بالـ(كم) على حساب النّوعيّة لم تعد تمرّ بـ"حارس البوّابة التّواصليّة"[1]، وهنا يقصد بالحارس الّذي يحدّد صحّة المعلومة ومصدرها ومعايير الدّقّة فيها، ومدى صلاحيّتها للنّشر بعد إخضاعها للمعالجة والتّدقيق والتّنقيح والمتابعة، والتّحقّق من مناسبتها للحال والمقام الّذي تبثّ فيه؛ فأنتج تدفّقًا لكثير من المعلومات الخاطئة وغير الموثّقة، مع قابليتها للحذف والتّعديل بلا معايير أو حدود أو ضوابط؛ فبات الشّارع العربيّ يعاني من مشكلات كثيرة في التّفكير، فآراؤه أقرب إلى السّطحيّة والتّعميم، وغالبًا ما ترتبط بشعارات أيديولوجيّة تحكمها الميول والأهواء والتّوجّهات والعصبيّات والمذاهب والأحزاب؛ فجانبت الحقّ والمنطق والوقائع المتعارف عليها.

هذا عدا عن التّغييرات الجذريّة في نوعيّة متلقّي الرّسالة التّواصليّة وانعكاساتها على تفاعله مع ما يُبثّ من رسائل وموادّ، مثل: شعوره بالملل أحيانًا من الأنماط التّواصليّة الدّارجة، ولا سيما إن كانت مكرورة ومفرّغة من محتواها الأيديولوجيّ القيّم، يرافقه الإحساس بالإحباط واليأس، لكثرة ما يصله من أخبار الدّمار والحروب والمجاعات والكوارث الاجتماعيّة والطّبيعية والسّياسيّة اليوميّة، مع شعور بالقصور والعجز أحيانًا عن متابعة كلّ جديد مع التّسارع الكبير في

---

(١) يسمّى قادة الرّأي حرّاس البّوابة أو المصفاة؛ فلا تمر رسالة إلا بعد أن تتبدّل على أيديهم، انظر للتوسّع: مأمون طربيه، **السّلوك الاجتماعيّ للفرد**، دار النّهضة العربيّة، ط١، بيروت، ٢٠١٢م، ص٥٢.

بثّ الرّسائل التّواصليّة، وتدفّق المعلومات، ويلحظ فساد الذائقة العامّة عند كثيرٍ من المتلقّين، فما عاد الفرد يميّز الغثّ من السّمين؛ فصار المستحسن رديئًا، وبات القبيح جميلاً، ينضاف إلى ذلك تحكيم العاطفة لا المنطق في ردود الأفعال التّواصليّة، والنّظر في مرجعيّات الباثّ العقديّة والثّقافيّة والعلميّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والدّينيّة عند الحكم عليه، أو على منتجه أو رسالته في الخطاب.

ولعلّ أشدّ مخاطر العولمة زعزعة منظومة القيم الثّقافيّة، والسّعي لهيمنة الثّقافة الغربيّة وترويج أنماطها في كلّ أساليب الحياة العربيّة وسلوك أفرادها، وذلك بما تملكه الشّركات الغربيّة العملاقة من سطوة الإعلام الإلكترونيّ ووسائلها الجاذبة والمغرية؛ ممّا أدّى إلى سوقٍ عربيّةٍ تستهلك المعرفة وتجترّها أكثر ممّا تنتجها؛ حتّى فقدت ثقافتنا خصوصيّتها ومرجعيّتها الأصيلة، ونتج عن ذلك تسطيح الفكر العربيّ وصناعة التّفاهة[1]، فخُلق جيلٌ تقنيّ، أغلبه من الشّباب، يهتمّ بالشّكل والزّخارف الحضاريّة على حساب الجوهر، جيل يطلب وجبته المعرفيّة السّريعة، ولا يكترث بتبعاتها، وقد أثبتت إحدى الدّراسات أنّ (٧٤%) من وعي الطّلبة وأفكارهم يتشكّل من استخدام الشّابكة وهذه المواقع[2]، وإنْ أحدثت التّقنيات ثورة تعليميّة، وغدت الوسيط المحفّز للدّراسة أحيانًا؛ إلا أنّ الاعتماد عليها بات مبالغًا فيه، فقد حدا بالشّباب العربيّ إلى هجر الكتاب الورقيّ، والابتعاد عن القراءة الفاعلة والمثقّفة والموثّقة؛ فأضعف ذلك قدرة المجتمعات العربيّة على الإبداع والابتكار في ظلّ المنتجات الثّقافيّة المُعلّبة الّتي تقدّمها الوسائل التّقنيّة للمتلقّين.

---

(١) ومن ذلك مواقع قليلة تنطلق للتّعامل مع مستخدم محدّد، مثل مواقع الأشخاص الوسيمين (Beatiful people)؛ إذ يُطلب من المستخدمين الوسيمين أن يضعوا صورهم ويُعرّفوا بأنفسهم.

(٢) انظر: **إدارة الإعلام**، ص١٥.

فالمشكلة أنّنا لم نرفع الفكر العربيّ المعاصر معرفيًّا وثقافيًّا وعلميًّا وحضاريًّا في وجه الغرب؛ لنثبت قدراتنا ونبرز تميّزنا وإبداعنا، كما لم نتّخذ من الاتّصال الرّقميّ حقلَ اشتغالٍ أيديولوجيّ أصيل، وسلاحًا معرفيًّا نحتمي به ونغربله لنرتقيَ بأنفسنا ومجتمعنا ودُولنا؛ فأحدث ذلك خلخلة في أساس المجتمعات العربيّة، فوجدنا الانحدار التّدريجيّ يُنشئ تجويفًا فكريًّا؛ بفعل الحفر في الأدمغة بأدوات التّغريب الفكريّ؛ لتوسيع الهوّة بين الأنا العربيّة والآخر الغربيّ، لخلق سحنةٍ مسخ جديدةٍ بلا ملامح واضحة أو هويّة أو أصل ترتدّ إليه. وأحسب أنّ هذه العمليّة تقوم على أسس ثلاثة: التّفريغ من المحتوى، ثمّ الشّحذ، ثمّ التّبعيّة المطلقة، وتنجز هذه على مراحلَ وبأناةٍ وصبرٍ بَالِغَيْنِ، وبسياساتٍ خفيّة أو مكشوفة أحيانًا، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ سلوك الإنسان العربيّ له خلفيّة –لا شكّ– معقّدة ومتعدّدة المكوّنات، مثل الدّوافع والقيم والاتجاهات، وحتّى يتمّ زعزعتها وتغييرها في شبكة العلاقات التّواصليّة الاجتماعيّة لا بد أن يرتبط هذا بأمر مسلّم فيه وهو (سلوك الإنسان يبدأ بالدّوافع وينتهي بالغرض)[1]، ولعلّ أهمّ الدّوافع حاجات الإنسان العربيّ إلى مسايرة التّقدّم التّقنيّ، وإثبات فاعليّته، ومشاركته فيه ليلحق بالرّكب؛ عدا عن حاجاته النّفسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الخاصّة الّتي تحفّزه إلى الوصول إلى غاياته.

المضامين الدّينيّة: تعدّ المرجعيّات الدّينيّة من أهم المؤسّسات المؤثّرة في الإنسان العربيّ وأقواها، لما تملكه من إمكانات معنويّة وماديّة واجتماعيّة، فقد استثمر الدّعاة وسائل التّواصل الاجتماعيّ لبث أفكارهم في الدّعوة إلى الله؛ حتّى امتدّ ذلك إلى دول أعجميّة أخرى، وأدّى ذلك إلى دخول أعداد من النّاس في الإسلام؛ ولكن ثمّة قوى سياسيّة في العقد الأخير من القرن الحالي قامت

---

(١) للتوسّع في مسلّمات السّلوك الإنسانيّ انظر: فؤاد البهيّ عبدالرّحمن، **علم النّفس الاجتماعيّ رؤية معاصرة**، دار الفكر العربيّ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٥٤.

بتقويض نشاطات بعض الفرق الإسلاميّة وتكبيل حركة أعضائها، كما ظهرت جماعات تدّعي الإسلام بمسمّيات مختلفة تناقض أفعالها سماحة الدّين وتعاليمه السّامية الّتي تحقّق الأمن والسّلام؛ فساعد ذلك في تشويه المفاهيم والأيديولوجيّات الإسلاميّة عالميًّا، وأُلْصِقتْ تهمٌ بإسلامنا مثل الإرهاب والحثّ على العنف، واضطهاد معتنقي الأديان الأخرى إلخ، ومن جانب آخر نشطت جماعات تدعو إلى التّطرف والإلحاد، وديانات أخرى مثل: النّصرانيّة واليهوديّة والبوذيّة...

المضامين السّياسيّة: المعلومات قوّة تشكّل المجتمع، وتوجّهه للسّيطرة على أفراده، والقيادة فنّ، وإن كانت تحكمها قوّة أو مكانة أو سلطة؛ فهي كذلك عمليّة سيكولوجيّة في التّواصل الاجتماعيّ؛ إذن فالأيديولوجيّات غالبًا قد تعبّر عن وجهة نظر الطّبقة المسيطرة من رئاسة وحكومات وأحزاب الأقليّة والمعارضة، وتسعى للتّأثير في أفراد المجتمع بممارسة القوّة في المجتمعات الحديثة ومنها العربيّة[1].

وبعض الجماعات تسعى إلى أيديولوجيّة الإصلاح والتّغيير الاجتماعيّ، فتعبّر عن آمال الفئات الاجتماعيّة المختلفة وتطلّعاتها، وقد ساهمت هذه التّقنيات الحديثة في ثورة الشّعوب على حكّامها في ظلّ رفع شعارات الدّيمقراطيّة والحريّة والرّغبة في التّغيير الجذريّ في الدّول العربيّة تحت مسمّى (الرّبيع العربيّ) قبل سنوات، وما زالت آثاره السّلبيّة ممتدّة حتّى اليوم، ومعاناة الشّعوب مستمرّة من مجاعات ودمار وفقر وبطالة وإعاقات جسديّة ومشاكل نفسيّة إلخ.

إنّ تسييس استخدام التّقنيات الحديثة في المجتمعات العربيّة لا تحكمه ضوابط واضحة المعالم أو قوانين مدروسة؛ بل توجّهه مصالح مؤدلجة وقوًى عظمى أدّت إلى إفراز مشكلات سياسيّة واجتماعيّة عدّة، منها: انتشار الفوضى

---

(١) كما تفعل جماعات الضّغط (Pressure groups).

في الدّول العربيّة، والجرائم الواقعيّة والإلكترونيّة في الواقع الافتراضيّ، ونشطت عصابات الشّابكة (قرصنة النّت Hackers)، وهي جرائم غير ماديّة، قد تمتدّ خارج الحدود المحليّة؛ ولذلك نشأت (عولمة الجريمة)، وأهمّها: جرائم الذّم والتّحقير والإهانة[1]، والنّصب والاحتيال الإلكترونيّ، باستدراج المستخدم للضّغط على روابط إلكترونيّة ملغومة بالفيروسات الضّارة بالجهاز التّقنيّ، كما لديها القدرة على العبث بمحتويات المواقع الإلكترونيّة بالإضافة أو التّغيير أو الحذف، وسرقة البيانات والحسابات المصرفيّة المتعلّقة بالأفراد والشّركات والدّول، والتّجسّس لصالح الدّول المعادية، ولنا أن نسمّيه بـ"التّلصّص الإلكترونيّ"، كاختراق البريد الإلكترونيّ ومواقع حسابات التّواصل الاجتماعيّ والمساس بحياة الأفراد الخاصّة، بسرقة صور الأطفال والنّساء وبيعها أو نشرها في المواقع الإباحيّة، ومن الجرائم غسيل الأموال، والرّبح الإلكترونيّ المشبوه والمتنامي، والتّحريض ضد الدّول والطّعن في القيادات السّياسيّة، والتّحريض على العنف، وبثّ الكراهية في النّسيج الاجتماعيّ العربيّ مع تعدّد الفرق والانتماءات الدّينيّة والأحزاب السّياسيّة، واستضعاف الأقليّات وتعذيبهم إلخ، وقد حدا انتشار مثل هذه الجرائم إلى حظر بعض المواقع الإلكترونيّة والتّطبيقات.

وقد ظهر ما يُعرف بـ"حرب المعلومات"، وهي خطوات تتّخذ لتحقيق التّفوّق المعلوماتيّ لدعم الاستراتيجيّة الفكريّة القوميّة بواسطة التّأثير في معلومات الخصم، وأنظمته[2].

---

(١) ومن سمات الجرائم الإلكترونيّة: سهولة إخفاء معالم الجريمة، مقابل صعوبة تتبّع مرتكبيها، وتتّسم بالغموض؛ إذ يصعب إثباتها أحيانًا، والتّحقيق فيها، ويتّسم مرتكبو هذه الجرائم بالثّقافة التّكنولوجيّة والعلم بدقائقها، انظر: **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)**، ص١٢٨.

(٢) انظر: محمود علم الدّين ومحمّد تيمور، **المعلومات وتكنولوجيا الاتصال**، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢١.

المضامين الاقتصاديّة: لقد شاعت في مواقع التّواصل الاجتماعيّ وظائف عديدة، ارتبطت بمفاهيم الاقتصاد الإلكترونيّ على المستويين العربيّ والعالميّ، وأهمّها وظيفة تسويق الإنتاج الفكريّ، والثّقافة الاستهلاكيّة السّائدة في المطعم والملبس والتّفكير، مثل: "Take away ،Delivery"، ممّا أدّى إلى فقد الإنتاجيّة، وترويج مواقع التّسوّق الإلكترونيّ لبعض السّلع والبضائع، خلال إعلانات لافتة ومحفّزة، وتقديم خدمة التّوصيل المجّانيّ، كما سهّلت التّجارة الإلكترونيّة؛ إذ يتمّ تبادل السّلع الماديّة، وعقد صفقات الشّراء والبيع، والتّسويق لمنتجات المتاجر العالميّة والعربيّة، ومن ذلك تجارة المعلومات الإلكترونيّة، خلال سوق المعلومات، ومن السّلع المعلوماتيّة البريد الإلكترونيّ وبرامج البريد الصّوتيّ وبرامج أنظمة تشغيل الحواسيب وغيرها.

ولذلك لا بدّ للاقتصاديّين في بلادنا العربيّة من إيجاد تكتّلات وحدويّة تنصهر في وحدات مركزيّة متماسكة قادرة على مواجهة الشّركات الّتي تحتكر الأسواق العربيّة والعالميّة وتفرض آليّاتها ومنتجاتها[1]. وقد درجت في الآونة الأخيرة طرقٌ للكسب الماليّ الإلكترونيّ السّريع، واستثمار الأموال عبر اليوتيوب والفيسبوك والتّويتر إلخ، وصارت تُعرَض فيديوهات تروّج لذلك، توضّح للمستخدمين طرق الرّبح الإلكترونيّ، وتداول الأسهم واستخدام العملة الإلكترونيّة الأشهر (Bitcoin)، وفتح حسابات إلكترونيّة تحقق دخلًا سريعًا لهم، مثل: (Traidnt، Google Adsense، Forex Trading Online) إلخ.

---

(١) ويقدّر أنّ (٢٥) سوقًا حاليًّا تتحكّم في نصف رأس المال العالميّ؛ أي تتحكّم في (٢٠.٩) ترليون دولار، انظر: **إدارة الإعلام**، ص١٥٦.

الوسيط اللّغويّ الناقل للمضامين الفكريّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ:

لا محتوى بلا أداة ناقلة أو وعاء، واللّغة الوعاء الحيّ النّابض، والوسيلة الّتي تحمل المضمون، ولا غرو أنّها جزءٌ لا ينفصل عن ذات الإنسان وفكره، وتتنوّع لغة وسائل التّواصل الاجتماعيّ في الدّول العربيّة كغيرها من دول العالم بين اللّغتين اللّفظيّة، وغير اللّفظيّة[1]، ويجب أن تتناسب اللّغة المستعملة مع طبيعة الرّسالة في الخطاب التّواصليّ، وخصائص المتلقّي المتفاوتة وظروف الخطاب الاتصاليّ (المكان، والزّمان، والبيئة، والموقف...) والعوامل المتّصلة بالمرسِل.

واللّغة نسقٌ رمزيّ يعرّف بصاحبه ويعطي عنه ملمحًا أيديولوجيًّا وثقافيًّا، كما يُقاس علو الأمم أو انحطاطها باهتمام أبنائها بلغتهم الأم، واستخدامها والرُّقيّ بها، ومع موجة التّقدّم التّقنيّ المتسارع والمثاقفة تراجعت اللّغة العربيّة، وعزف عنها أبناؤها، وحلّت مكانها اللّغات الأعجميّة، وانتشرت مظاهر هذا الجَزْر اللّغويّ بشتات أبناء العربيّة لغويًّا، والعناية بلغات أخرى على حسابها، ولا سيّما اللّغة الإنجليزيّة الّتي باتت محطّ اهتمام كثير من الشّباب العربيّ، وقد سهّلت مواقع التّواصل الاجتماعيّ سبل التّعليم المجانيّ للغات الأخرى، وكثرت مظاهر لغويّة غذّتها الشّابكة كـ"لغة الفرانكو = العربيزي = الإنجليزيّ المعرّب"؛ إذ تستخدم الحروف اللاتينيّة والأرقام للدّلالة على الحروف العربيّة مثل: ع=3/ ذ=4/ خ=5 إلخ، كما يشيع استخدام الحرف الإنجليزيّ للكلمة العربيّة مثل: (AL7amdo LLALAH) = الحمد لله، وكتابة الكلمات الإنجليزيّة

---

(١) قد تسمّى لغة الإشارة أو لغة الحركة أو لغة الأشياء، وقد تكون خطوطًا صمّاء أو مشهدًا صامتًا (بانتومايم) أو صورة أو رمزًا، للتّوسّع انظر: **علم لغة الحركة بين النّظريّة والتّطبيق**، ص٤٠-٤٦.

بالحرف العربيّ مثل: "جوردن تايمز Jordan Times"، وانتشار الإعلانات والبرامج والمسابقات والأفلام العربيّة بأسماء إنجليزيّة أو فرنسيّة أو إسبانيّة إلخ، وكذلك كتابة الأسماء في حسابات التّواصل الاجتماعيّ بلغات أعجميّة وبعضها أسماء مستعارة، هذا عدا عن شيوع اللّحن اللّغويّ في مستويات العربيّة جميعها: الإملائيّة والمعجميّة والنّحويّة إلخ، فانتشرت لغة ركيكة وهزيلة، شوّهت اللّغة العربيّة المستخدَمة وأضعفت السّليقة في الأجيال العربيّة الجديدة، وأفسدت ذائقتهم اللّغويّة السّليمة.

وممّا ساعد في تدنّي مستوى أبناء العربيّة لغويًّا كثرة استخدام اللّغة المحكيّة المكتوبة والمسموعة في هذه الوسائل؛ حتّى وجدنا العُجمة والرّطانة والتّهجين اللّغويّ جليًّا في اللّسان العربيّ، فبدا أثر الوسيط اللّغويّ العربيّ النّاقل للمضامين الفكريّة بلغته السّيّارة بشكلٍ جديد، وبات الجيل التّقنيّ يزدري لغته؛ ويعقّها بالاستهزاء بها وبمن يتحدّثها أو يكتب بها، في حين أن بعض الدّول الأعجميّة مثل الصّين واليابان وتركيا وغيرها باتت تهتم بتعليم العربيّة لأبنائها.

ومن المظاهر اللّغويّة شيوع "العنف اللّغويّ" بالتّطاول والاعتداء على الآخرين بمشاهد فيديو في اليوتيوب أو تعليقات غير لائقة أحياناً في الفيسبوك والتّويتر إلخ، وكذلك ميل كثير من الأسر العربيّة إلى إرسال أبنائهم إلى مدارس اللّغات الأخرى، الّتي لا تُلْقِي بالاً للعربيّة، إذ يعدّون الإنجليزيّة بشكل خاصّ لغة النّموّ والتّقدّم والحضارة، لغة تهيّئ أبناءهم لسوق العمل مستقبلاً ومتطلباته التّكنولوجيّة الحديثة؛ وبلا شك فقد يكون تعلّم اللّغات مطلبًا وحاجة حسب السّياق؛ لكن يجب أن لا يكون على حساب لغة الطّفل الأصل؛ وللأسف، مشكلة العربيّة في أهلها، وذلك جليّ بقلّة انتمائهم إلى هويّتهم اللّغويّة، وعدم اتّخاذ المثقفين والحكومات العربيّة الإجراءات العمليّة لتذليل الصّعوبات أمام العربيّة لمجابهة هذه التّحدّيات.

وقد أصدرت كليّة دبي للإدارة الحكوميّة، الإصدار السّابع من سلسلة دراسات في شباط ٢٠١٧م بعنوان: "الإعلام الاجتماعيّ العربيّ"[١]، عُنيت الدّراسة بتحليل بيانات (٢٢) دولة عربيّة تمّ جمعها من (Facebook، Twitter، Instagram، Linkedin)، في المدّة من (كانون الثاني ٢٠١٦ إلى كانون الثاني ٢٠١٧)، وتشير النّتائج إلى أنّ وسائل الإعلام الاجتماعيّ اكتسبت أهميّة متزايدة، وتغلغلت في حياة العرب، ولا سيّما الشّباب، كما أنّ النّسبة الكبرى من مستخدمي وسائل التّواصل الاجتماعيّ في البلدان العربيّة من الذّكور، و٦٤% تحت عمر ٣٠ عامًا، واللّغة العربيّة هي الأكثر استخدامًا في أنشطتها كذلك، والفيسبوك هو الشّبكة الاجتماعيّة الأكثر رواجًا، وتستخدم العربيّة فيه بنسبة (٥٥%).

وقد ظهرت مصطلحات لغويّة تقنيّة تستخدم باللّغة الإنجليزية منها: (Block) – بلوك (حظر إحدى جهات الاتّصال)، و(Selfie) – سيلفي (الصّورة الملتقطة ذاتيًّا) إلخ، ويلاحظ استخدام الشّباب العربيّ هذه المصطلحات الّتي غدت أبجديات إلكترونيّة دخلت نسيج اللّغة العربيّة الّتي تستوعب كلّ جديد بمرونتها، وتخضع لقواعدها؛ فنجد بعض هذه الكلمات تُجمَع وتُثنّى: لايك – لايكات/ فيسبوكي – فسابك أو فسابكة[٢]/ كومنت – كومنتان/ تويتة – تويتات، ومن (شير share) يُستخدم: شيَّرْ، ويُشيِّر، وشَيَّر، مُشيِّر إلخ.

ولا بدّ من إدراك حجم المسؤوليّة الّتي تقع على أكتاف الغيورين من أبناء العربيّة على لغتهم من أفراد ومؤسّسات ومجامع اللّغة العربيّة لاستيعاب هذه

---

(١) المصدر: إحصائيّات مواقع التّواصل الاجتماعيّ، شباط ٢٠١٧م، (www.weedoo.tech).

(٢) يرجع استخدام المصطلح للشّاعر اللّبنانيّ أحمد بيضون، ثمّ إلى الصّحفيّ اللّبنانيّ رامي الأمين في كتابه **معشر الفسابكة**، دار الجديد، ط١، بيروت، ٢٠١٢م.

المستجدّات اللّغويّة التّقنيّة في الشّابكة وفلترتها وتصنيفها، ثمّ إعطاء البدائل العربيّة المناسبة لها.

العوامل التي تؤثّر في تلقي المضامين الفكريّة الإلكترونيّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ:

لقد غدت وسائل التّواصل الاجتماعيّ كسيل عرمرم يجتاح دولنا العربيّة، تتحكّم فيه عوامل تساهم في تشكيل التّصدّعات القيميّة والمعياريّة والاجتماعيّة الجديدة، أهمها: توفير فضاء الواقع الافتراضيّ لمستخدميه المهرب من واقعهم المعيش، مع توفّر المبادئ الأساسيّة في التّأثير في اتجاهات الفرد العربيّ؛ فالمضامين قريبة من احتياجاته: النّفسيّة والاجتماعيّة والماديّة والدّينيّة والتّرفيهيّة، تدفعه لذلك الرّغبة بالتّغيير السّريع والجدّة، وتوفير أرشيف معلومات وقاعدة بيانات مجانيّة متوفّرة في كلّ وقت ومكان، تُدرَك بيسر، إضافة لنمو الخطاب الإلكترونيّ وتحديثه المستمرّ بتقنيات متجدّدة؛ يحفّز المستخدمين على المتابعة، واستطلاع آراء الآخرين واستفتاءاتهم، ومعرفة الأخبار على مدار الوقت.

إضافة لحريّة الاستخدام، مع وجود تغطية كبيرة ومفتوحة العدد للأفراد المتابِعين الّذين تصلهم رسالة الخطاب التّواصليّ الإلكترونيّ، وقدرة مستخدِم هذه التّقنيات على معرفة مدى اكتمال دائرة التّواصل؛ ووصول رسالته التّواصليّة الإلكترونيّة للمتلقّي بوجود آليات تقنية توضّح عدد المشاهَدات للنّصوص المعروضة أو الفيديوهات، أو بوضع علامة الإعجاب أو التّعليق كنوع من التّفاعل والتّغذية الرّاجعة الفوريّة، كما يمكن قياس درجة التّجانس في المتلقّين[1] من قبل العمر والجنس والمكان والثّقافة ودرجة التّعليم والوعي والخبرة والحالة الاجتماعيّة، والميول النّفسيّة والمزاج والانتماء الطّائفيّ أو العرقيّ أو الدّينيّ أو الجغرافيّ، وكثافة الحضور في التّطبيق أو الموقع التّواصليّ.

وثمّة عوامل ترتبط بالمُستخدِم وخطابه وتأثيره بالآخرين، أهمّها امتلاكه المهارات التّواصليّة التّقنيّة وخبراته التّكنولوجيّة، وإدراكه أبعادها وكيفيّة

(١) يقصد بها التّشابه بين الأفراد المتلقّين للرّسالة التّواصليّة.

توظيفها في بثّ رسالته الإلكترونيّة، وإيمانه برسالته وثقته بنفسه وبصحّة مصادر معلوماته وقدرته على الغربلة وتمييز الصّحيح من الملفّق[1]، وكذلك قدرته على صياغة الرّسائل الاجتماعيّة الإلكترونيّة باستخدام الوسيلة الملائمة والجاذبة للمتلقّي لغة ومستوًى، والاهتمام بطريقة العرض والتّوقيت الملائم، ومدى مناسبة الموضوع للمتلقّي وحاجته له وجِدّته، والإخراج الفنيّ والتّقنيّ للرّسالة وطولها أو قصرها، وسيطرة الرّموز والأيقونات في الكتابة الرّقميّة بعيدًا عن التّشويش الدّلاليّ، والتّنبّه إلى مُدّة عرضها، والشّكل اللّغويّ المناسب، ومراوحته بين المكتوب والمسموع والمصوّر، وسهولة تناوله، وعدد تكرار الرّسالة ومدى شمولها، وسلامة المحتوى الإلكترونيّ من الأخطاء، وكفاءة العرض والأداء والأدوار إذا كانت المادّة المقدّمة في فيديوهات.

وكلّ ما سبق يؤثر في متابَعة الرّسالة وعدد الإعجابات وتفاعل المتلقّي بالتّعليق وعدد المشاركات، وينضاف للعوامل السّابقة المؤثرة في استجابة مستخدمي مواقع التّواصل شهرة المرسِل بِعَدّه من الشّخصيّات المعروفة اجتماعيًّا أو سياسيًّا أو دينيًّا أو فنيًّا إلخ، ومرجعيّاته الأيديولوجيّة وانتماؤه العقديّ وميوله وتوجّهاته التّنظيميّة التّابعة لمؤسّسات أو منظّمات أو دول.

حفرة الانهدام الفكري بين الانفصال والاتصال:

أولاً: وسائل التّواصل الاجتماعيّ بين الفائدة والعبث:

تعدّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ من تحديات العصر الّتي يجب الوقوف على محتواها واستثمار أدواتها وتعرّف مزاياها، وتجنّب عيوبها؛ فهي سلاح ذو حدّين، تعتمد طريقة التّوظيف وحُسن التّأتّي لجني الفوائد، ففيها الحِكَم والمواعظ

---

(١) أثبتت التّجربة أنّ المصدر الموثوق به يستطيع أن يقنع المستقبل إلى درجة تبلغ ثلاثة أضعاف ونصف تلك الدّرجة الّتي يبلغها المصدر الأقل ثقة، انظر: **فنّ الاتصال في الخدمة الاجتماعيّة**، ص٨٠.

والمعلومات، والإعلان عن الذّات، وهي من وسائل التّنفيس اللّغويّ، يستطيع مستخدمها التّعبير عن كبت عاطفيّ أو اجتماعيّ أو ماديّ إلخ، وفيها ينظر الفرد لنفسه من ردود أفعال الآخرين وانطباعاتهم عنه، وكذلك الاستفادة من تجاربهم ومعرفة أحوالهم، والبحث عن أصدقاء جدد أو استرجاع صداقات قديمة وتوثيق الذّكريات، وتبادل الأفكار والحوارات، والبحث عن وظائف وإجراء مقابلات شخصيّة أو المشاركة في ندوات أو مؤتمرات، واكتشاف العالم حوله؛ لوجود ميزة سرعة الانتشار والتّنقل والنّشر والتّداول، ويستخدمها طلبة العلم للحصول على المعلومات بيسر مع تعدّد مواقع نشر الكتب الإلكترونيّة الموافقة للمطبوع (الكتاب الورقيّ) بغية التّوثيق، وفيها تُتناقل الأخبار، وهي إحدى وسائل التّثقيف الجماهيريّ في كلّ مجالات المعرفة.

وفي الجانب الآخر، فإن استخدام هذه المواقع في المجتمعات العربيّة، أدّى إلى تغيير أنماط تفكير الجيل التّقنيّ الجديد، فنجد عزوفًا عن الزّواج أو تأخّرًا؛ فكثيرٌ يحكم توجهه المستقبل المهنيّ أو العلميّ؛ فضلاً عن عدم احترام البعض قداسة الزّواج وتبعاته الأسريّة، وتفشّت ظاهرة الطّلاق، وبعض أنماط الزّواج غير الشّرعيّ الميسّر في الإعلانات الإلكترونيّة الّتي أدّت إلى تفكيك الرّوابط الاجتماعيّة بين أفراد العائلة الواحدة، وبين الأسر والمجتمع عامّة.

ويلحظ ازدياد الثّروات الشّخصيّة عن طريق تطبيقات تقنيّة جديدة، ويرتبط ذلك بثقافة التّخلّص من السّلع المستهلكة أو المعطّلة بدلاً من إصلاحها، واقتناء الطّراز الأحدث من السّيارة أو برنامج الحاسوب أو الهاتف الجوّال، كما تغيّرت الغايات، فصار التّسوّق لقضاء وقت الفراغ والنّزهة وليس للضّرورة، والحياة باتت أكثر صخبًا والوقت بلا قيمة عند كثيرين، واتّسعت الفجوة بين الجيل الأكبر الّذي يميل للمحافظة والجيل الحديث الّذي يرى التّغيير نوعًا من الإثارة، وفيه مسايرة للتّوجّهات المعاصرة.

وممّا نتج عن هذه الوسائل ظاهرة "الطّبقيّة الاتّصاليّة"؛ إذ قُسّم العالَم إلى قسمين من قِبَل طبيعة خدمات التّواصل والإعلام: فئة الإعلام التّجاوبيّ الّتي تتيح خدمات المعلومات والمعرفة، ويتفاعل معها المستخدمون بما ينمّي قدراتهم، ويضاعف فرصهم في العمل أو التّعليم، وأمّا الفئة الأخرى، ففئة الإعلام السّلبيّ الّتي لا يملك فيها الفرد سوى استقبال الرّسالة المقدّمة إليه(١).

ومع تكاثر المنشورات والمعلومات صار من الصّعب المتابعة أو الإحاطة بكثير منها، وهي أشبه بفقاعات المعارف لما يعتري بعضها من الوهن والعشوائيّة والفوضى وعدم المصداقيّة والدّقة، ومجانبتها للحياديّة، وعدم نسبة المعلومة إلى مُنشئها، فكثُرت السّرقات العلميّة والأدبيّة الإلكترونيّة؛ ممّا أدّى إلى تراجع مستوى التّعليم والبحث العلميّ؛ ووجود حسابات إلكترونيّة وهميّة مجنّدة لهدم المضامين الفكريّة والثّقافيّة والعلميّة واللّغويّة في العالم العربيّ.

ويجب عدم إغفال محاولات تجهيل الرّأي العامّ، لا سيّما الإعلام الإلكترونيّ الّذي تحكمه السّلطة ورأس المال الغربيّ في كلّ مكان، بما فيها الدّول العربيّة، عدا الأضرار العقديّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والدّينيّة والأمنيّة الّتي يضيق الموضع عن تفصيلها.

ثانيًا: وسائل التّواصل الاجتماعيّ بين المأمول والواقع:

تتنازع الإنسان العربيّ الرّغبة الجامحة في مواكبة ركب التّقانة والاستفادة منها قدر الإمكان ومحاولة تجنّب أضرارها، وتتراوح التّكهّنات لآثار وسائل التّواصل الاجتماعيّ في المجتمعات العربيّة بين متفائل ومتشائم، ففي الوقت الّذي منحت هذه التّقنيات الإنسان العربيّ حريّة التّواصل، ووفّرت عليه مجابهة تحديات كثيرة لمتابعة مجريات العالم ومتغيّراته السّريعة؛ إلا أنّها وسّعت الهوّة

---

(١) انظر: **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)**، ص٦٤.

بين أفراد هذه المجتمعات ورفعت بعضهم على حساب الآخر، وساعدت في تغريب العقول وتفرقة الجماعات.

ولا بدّ من التّنبّه إلى ضرورة وجود الحصانة ضد المؤثّرات التّواصليّة الّتي يستقبلها الإنسان العربيّ في الوسائل التّقنيّة الاجتماعيّة الحديثة، ويقصد بذلك التسلّح بالعناصر المعرفيّة والاتجاهات النّفسيّة المتّزنة الّتي يحملها الفرد لمقاومة التّغيير، وهي تختلف من شخص إلى آخر، فالبعض قد تكون استجابته سريعة للتغيّر أو بطيئة، أو سهلة أو صعبة، والفئة الصّعبة هي من تكون لديهم المناعة أقوى لمقاومة التّغيير، ويعتمد كثيرٌ من موجّهي الشّعوب وقادتهم دراسة طبيعة الفئة المتلقية للرّسالة التّواصليّة لتحديد آلية التّعامل معها والتّأثير عليها، وقد أثبت العلم السّلوكيّ الاتصاليّ طريقة لتوليد مقاومة صناعيّة أشبه بمقاومة الجسم للأمراض عن طريق تزويد الأفراد بجرعات من المعلومات التّمهيديّة قبل التّعرّض لموقف اتّصالي ما[1]، تعمل على تحصينهم؛ ولعلّ مثال ذلك ما يتلقاه الإنسان العربيّ من جرعات الأخبار السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، ولا سيّما الّتي تبعث في النّفس الحزن والإحباط، يتجرّعها على تؤدة، فقد تكون البداية صادمة؛ لكنّها مع الوقت تُحدِث فعْلَ العادة وتلاشي الدّهشة مهما تعاظم الخَطْب، حتّى وجدنا شعوبنا فقدت كثيرًا من صفاتها الإنسانيّة العربيّة، وفتَرَت ردود أفعالهم الطّبيعيّة واللازمة إزاء ما يُرى ويُسمَع.

ولذلك يأتي دور شبكة العلاقات التّواصليّة الاجتماعيّة العربيّة في ضرورة المحافظة على ما تبقى من روح الأمّة وحمايتها ورفع مقاومتها أمام العوامل الخارجيّة المُغرضَة؛ بغربلة المضامين الفكريّة ضمن أوعية البثّ التّقنيّ، والسّعي إلى الحفاظ على خصائصها وإنجازاتها السّابقة وتوقعاتها للمستقبل؛ لتقف في وجه أي غزو حضاريّ أو ثقافيّ أو أيديولوجيّ بتنظيم العمل الجماعيّ

---

(١) انظر: **علم الاتّصال (مفاهيمه ونظرياته ومجالاته)**، ص٦٥.

والعمل على تطويره؛ لضمان استمراريّته وممارسة الضّغط على القوى الّتـــي تحاول تفتيت لُحمة المجتمع العربيّ؛ بإحلال قيمٍ وتقاليع دخيلـــة ليســـت مـــن الموروث والثّوابت؛ هدفها التّعرية الاجتماعيّة، ثم إلباس الجيل الجديد المنساق زي الحضارة التّقنيّ المزخرف؛ فيجب التّدقيق والتّمحيص أمام دعاوى التَّرويج لمفاهيم مسيّسة، وعدم الانبهار بالشّعارات الرّنانة، فهي ليست بنت حضارتنا، أو من صُلب تعاليم ديننا السّمح.

ختامًا: "حفرة الانهدام الفكريّ" إلى أين؟

أحسبُ أن عولمة الشّعوب لا تشكّل خطرًا إلا على الأمم الّتي تفتقر إلى ثوابت أيديولوجيّة وحضاريّة ودينيّة وثقافيّة، أمام من تملك هذا الرّصيد الغنيّ الّذي يجعلها تحتفظ بملامحها الخاصّة، وتحصد ثمار التّقدّم، وتنخرط به، وتتجاوز سلبياته؛ بلْ تتفاعل مع المتغيّرات الإنسانيّة التّقنيّة المتسارعة، وتستوعبها، وتشارك فيها وتترك بصمتها الحضاريّة والأيديولوجيّة؛ فالمشكلة الحقيقيّة في المجتمعات العربيّة الانهزام النّفسيّ والشّعور بالضّعة والنّقص أمام التّغوّل الغربيّ الّذي يمتد وينتشر كالوباء؛ لضعف الصّفّ العربيّ الّذي بات شرذمة وحِلَقًا مفتّتة، تسمح للآخر باستثمار هذه النّهضة الإلكترونيّة بالسّيطرة على وسائل التّواصل الاجتماعيّ والإعلام العربيّ لولوج الثّغرات، وإيقاظ الفتن، والهيمنة على اقتصاديّات العرب ونهب ثرواتهم، وإشغال الأفراد بجمع قوت يومهم، وترك قضاياهم المصيريّة؛ ليُقادوا إلى حفرة الانهدام الفكريّ.

فلا بد من صحوة فكريّة وأخرى لغويّة تعزّز المصلحة العربيّة الإسلاميّة، ثمّ تطويع هذه الوسائل لبناء نهضة الأمّة بما يلائم عاداتنا وتقاليدنا ودیننا وثقافتنا، بوضع الضّوابط وتقنين الوسائل بفرض قيودٍ مدروسةٍ ووضع أنظمة عربيّة مُوجِّهة وأخرى رادعة.

وحقًّا كلّما اتّسعت رؤيتنا للهوّة العربيّة الّتي تحدثها التّصدعات الإلكترونيّة في هدم البناء الفكريّ والحضاريّ للإنسان العربيّ ضاقت العبارة؛ ولكن لا بدّ من مواجهة المعطيات الموجودة لخلق واقع أفضل، وتقديم مقترحات قد تجدُ صدًى، وقد تُحدث تعديلاً فيما هو كائن، ومنها:

- الدّعوة إلى وضع برمجيّات خاصّة إلكترونيّة تُبَثّ خلال وسائل التّواصل الاجتماعيّ للحفاظ على اللّغة العربيّة، وأخرى تعزّز الانتماء للهويّة اللّغويّة العروبيّة وحبّها والتّعلّق بها والمحافظة عليها.

- تحرير اللّغة العربيّة ممّا يشوبها من مظاهر لغويّة دخيلة، والــدّعوة لعنونــة الحسابات الإلكترونيّة ومواقع الويب (Web) بأسماء عربيّة.
- وضع أنظمة مبرمجة ترفض نشر أيّ محتوًى إلكترونيّ إلا بعد تنقيحه والتّأكّد من سلامته من الأخطاء اللّغويّة: الإملائيّة والنّحويّة إلخ.
- تضافر جهود مجامع اللّغة العربيّة لإيجاد البدائل اللّغويّة للألفاظ الدّخيلة الّتي تُبثّ في قنوات مواقع التّواصل الاجتماعيّ، وتعريب المصطلحات الإلكترونيّة الحديثة بما يناسب لغتنا الأم.
- بثّ برامج وفيديوهات تواصليّة تعليميّة باللّغة العربيّة بشكل واسع، ســواء كانت موجّهة للنّاطقين بالعربيّة أو لغير النّاطقين بها، لترويجها عالميًّا، ونشر البرامج المصوّرة بشكل خاصّ خلال موقع اليوتيوب.
- تضافر الجهود الفرديّة والجماعيّة والدّوليّة، ولا سيّما طبقة المثقفين والعلماء والمربّين، للنّهوض بفكر عربيّ ذي مضامين أيديولوجيّة منتمية لحضــارتنا وتاريخنا وثقافتنا وديننا.
- العمل على زيادة المحتوى العربيّ في الشّابكة لنتقدّم عالميًّا.
- إطلاق مبادرات لحماية العربيّة من التّقهقر عن طريق المسابقات والجــوائز والمِنَح الّتي تعتمد معايير المصداقيّة والموضوعيّة في التّصنيف والانتقــاء دون محاباة النّتائج أو تسييسها.
- فرض العربيّة في سوق العمل في ظلّ تكنولوجيا الحداثة.
- التّوعية بمخاطر بعض المضامين الفكريّة الّتي تبثّ خلال مواقع التّواصــل الاجتماعيّ، ومخاطبة الشّباب في آليّة توظيفها بشكلٍ فاعل، وعقــد دورات خاصّة لهذه الغاية.
- تعريب التّطبيقات الإلكترونيّة الغربيّة ذات القيمة والفائدة، وتطوير المحتوى الأيديولوجيّ بما يتناسب مع معطيات المجتمع العربيّ.

- تضافر حكومات الدّول العربيّة في فرض عقوبات وغرامات على من يسيء في منشوراته للغته العربيّة أو مجتمعه.
- إيجاد وسائل فاعلة وبرامج جاذبة لجيل الأطفال النّاشئ المُحبّ للتّقنيات الحديثة؛ تعزّز المضامين الفكريّة العربيّة وتجذبه للتّواصل بلغته الأم، تُقدَّم من قبل مواقع التّواصل الاجتماعيّ الخاصّة بالأفراد والمؤسسّات التّعليميّة والتّربويّة المختلفة.
- إيجاد جهات عربيّة في الشّابكة متخصّصة، تحفظ حقوق النّشر للمعلومات والأخبار، وملكيّتها للنّاشر الأوّل، كما هي الحال في المطبوعات الورقيّة.
- تعزيز دُور النّشر العربيّة للأطفال بشكل خاصّ، لتحفيزهم على القراءة، وتنظيم مؤتمرات ومعارض ومسابقات تستهدف الطّفل العربيّ.

المصادر والمراجع:

- الأمين، رامي، **معشر الفسابكة**، دار الجديد، ط١، بيروت، ٢٠١٢م.
- إسماعيل، محمود حسن، **مبادئ علم الاتصال ونظريّات التّأثير**، الدّار العالميّة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الجابريّ، محمّد عابد، **تكوين العقل العربيّ**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط٦، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الجابريّ، محمّد عابد، **بنية العقل العربيّ**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط٩، بيروت، ٢٠٠٩م.
- جوهر، صلاح الدّين، **علم الاتصال (مفاهيمه ،نظريّاته ،مجالاته)**، مكتبة عين شمس، ط١، القاهرة، ١٩٧٩م.
- الخطاب، فارس حسن، **الفضاءات الرّقميّة وتطبيقاتها الإعلاميّة**، دار أسامة، ط١، عمّان، ٢٠١٢م.
- عبدالحميد، محمّد محيي الدّين (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) والسّبكيّ، محمد عبداللّطيف (١٣٨٩ه/١٩٦٩م)، **المختار من صحاح اللّغة**، دار سرور، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
- شفيق، حسنين، **الإعلام الجديد (الإعلام البديل)، تكنولوجيا جديدة في عصر ما بعد التّفاعليّة**، دار فكر وفنّ، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.
- صادق، عبّاس مصطفى، **الإعلام الجديد (المفاهيم والوسائل والتّطبيقات)**، دار الشّروق، ط١، عمّان، ٢٠٠٨م.
- طربيه، مأمون، **السّلوك الاجتماعيّ للفرد**، دار النّهضة العربيّة، ط١، بيروت، ٢٠١٢م.
- عبدالرّحمن، فؤاد البهيّ، **علم النّفس الاجتماعيّ رؤية معاصرة**، دار الفكر العربيّ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- العدويّ، فهمي، **إدارة الإعلام**، دار أسامة، ط١، عمّان، ٢٠١٠م.
- علم الدّين، محمود وتيمور، محمّد، **المعلومات وتكنولوجيا الاتصال**، القاهرة، ٢٠٠٢م.

• عيد، عريب محمّد، **علم لغة الحركة بين النّظريّة والتّطبيق**، دار الثقافة، ط١، عمّان، ٢٠١٠م.
• فهمي، محمّد، **فنّ الاتصال في الخدمة الاجتماعيّة**، دار الوفاء، ط٢، الإسكندريّة، ٢٠١٠م.
• الفيروز آبادي، أبو طاهر مجيد الدّين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازيّ (٨١٧هـ/١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التّراث، مؤسّسة الرّسالة، ط١٦، بيروت، ١٩٩٨م.
• المنصوريّ، خالد وآخرون، **إطلالة معرفيّة على شبكات التّواصل الاجتماعيّ (فيسبوك، تويتر، يوتيوب)**، ط١، دبي، ٢٠١٣م.
• ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن عليّ (٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، مكتب تحقيق التّراث، دار إحياء التّراث، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٥.
• هيل، مايكل، **أثر المعلومات في المجتمع (دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها)**، تعريب: مركز الإمارات للدّراسات والبحوث الاستراتيجيّة، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٤م.
• Kalseth.K(1997*).Knowledgemanagement:putting information, and people's competence to work together*, FID news Bulletin, 47(7/8), 191/2
• إحصائيّات مواقع التّواصل الاجتماعيّ، شباط ٢٠١٧م، http://www.weedoo.tech.
• الاتّحاد الدّوليّ للاتّصالات، عنوان "حقائق وأرقام عن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لعام ٢٠١٧م"، http:// www.mcit.gov.eg
• موقع كليّة دبي للإدارة الحكوميّة، تقريرها الأوّل في الإعلام الاجتماعيّ في العالم العربيّ http://www.mbrsg.ae/home.aspx?lang=ar-AE
• موقع جريدة الإمارات اليوم الإلكترونيّ، بتاريخ (٦) كانون الثّاني ٢٠١٣م. http://www.emaratalyoum.com

References:

*Al-Adawee,F. (2010) Management media, 1st ed, Amman: Dar Usama

*Al-Ameen, R. (2012) Maasher Al-Fasabekh, 1sted. Beirut: Dar Al-Jadeed

*Al-Fairooz Abade, M. (1998) Ocean Dictionary, 16thed, Beirut: Al-Resala Foundation

*Al-Jaberi, M. (2000) The formation of the Arab mind, 6ed. Beirut: Center for Arab Unity Studies

* Al-Jaberi, M. (2009) The structure of the Arab mind, 9ed. Beirut: Center for Arab Unity Studies

*Al-Khattab,F. (2012) Digital spaces and their media applications, 1sted, Amman: Dar Osama

* Al-Mansoree,kh & others. (2013) Knowledge of social networks (Facebook, Twitter, YouTube), 1sted, Dubi

*Al-Sabki,M. (1980) Mukhtar of the Sahih language, 1sted, Beirut: Dar Suroor

*Abed Al-Rahmn, F. (2006) Social psychology is a contemporary vision, 1sted, Cairo: Dar Al-Fiker Al-Arabe

*Allam AL-Deen, M. &Tymoor, M, (2002) Information and communication technology, 1sted, Cairo

*Eben Manzoor, J. (1993) Lesan Al-Arab,2nd ed, Beirut: Dar Ehyaa Al-Turath

*Eid, O. (2010) Kinetic linguistics between theory and practice, 1st ed, Amman: Dar Thakafa

*Esmaeel, M. (2003) Principles of communication science and theories of influence, 1st ed. Cairo:Dar Al-Alamya

*Fahmee,M. (2010) The art of communication in the social service, 2nd ed, Alexandria: Dar Al-Wafaa

*Hassana, M. (2001) Internet in libraries and information centers: potentials, benefits, challenges,3th ed, Afkar Blog, number 3.

*Hill, M, (2004) The impact of information in society (study of its nature, value and use), 1st ed, Abu Dabi

*Jawhar, S. (1979) Communication science (concepts, theories, fields), 1st ed. Cairo: Een Shams Library

*Sadek,A. (2008) New Media (Concepts, Means, and Applications), 1st ed, Amman: Dar Al-Shurook

*Shafeek, H. (2011) New media (alternative media), new technology in the post-interactive era, 1st ed, Cairo: Dar Feker and fun

*Tarabeh,M. (2012) Social behavior of the individual, 1st ed, Beirut: Dar Al-Nahda.

*Emirates Newspaper Online website, dated (6) January 2013, (http://www.emaratalyoum.com)

*International Telecommunication Union, "Facts and figures on ICT for 2017,(http:// www.mcit.gov.eg)

* Statistics of social networking sites, February 2017, (http://www.weedoo.tech)

* The website of the Dubai School of Government, its first report in social media in the Arab world(http://www.ameinfo.com/ar-192225.html)

وسائل التواصل الاجتماعيّ ومزلق حفرة الانهدام الفكريّ

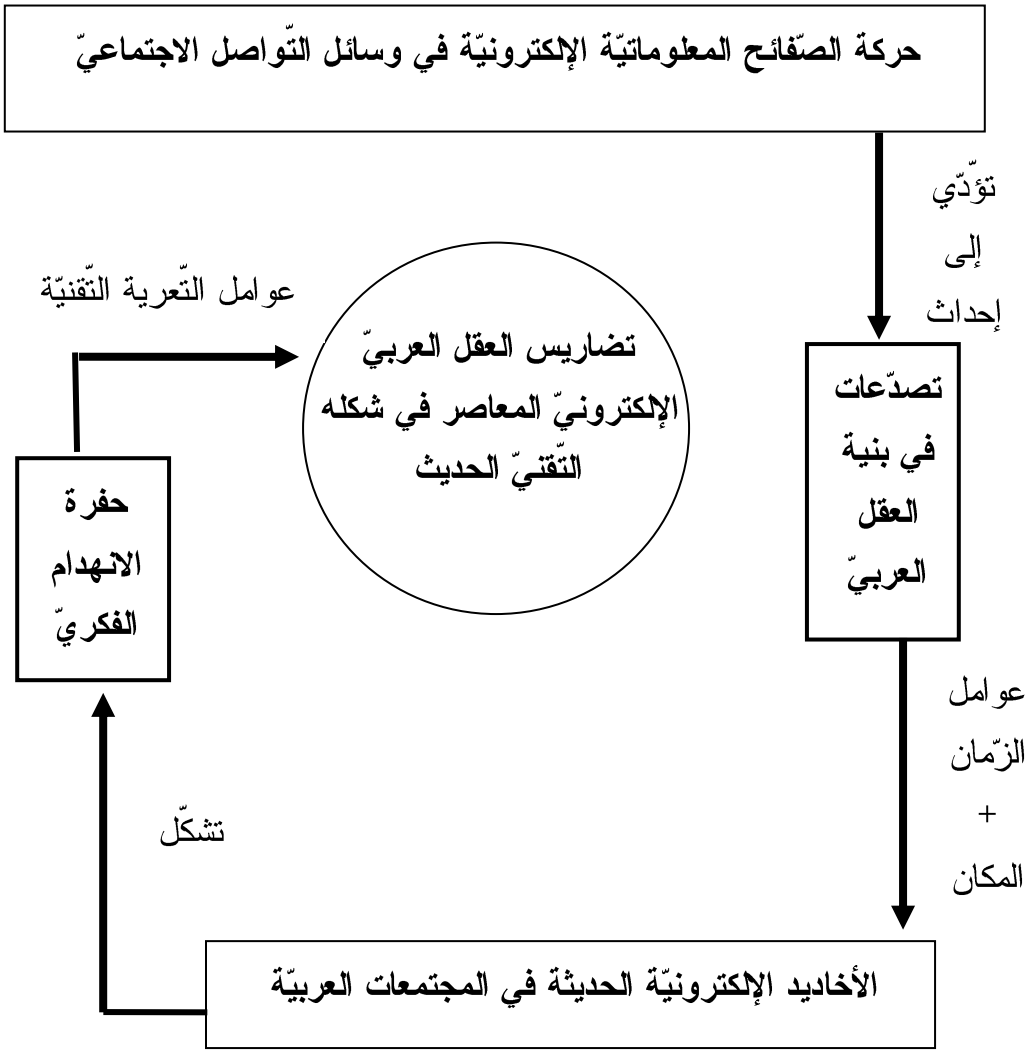

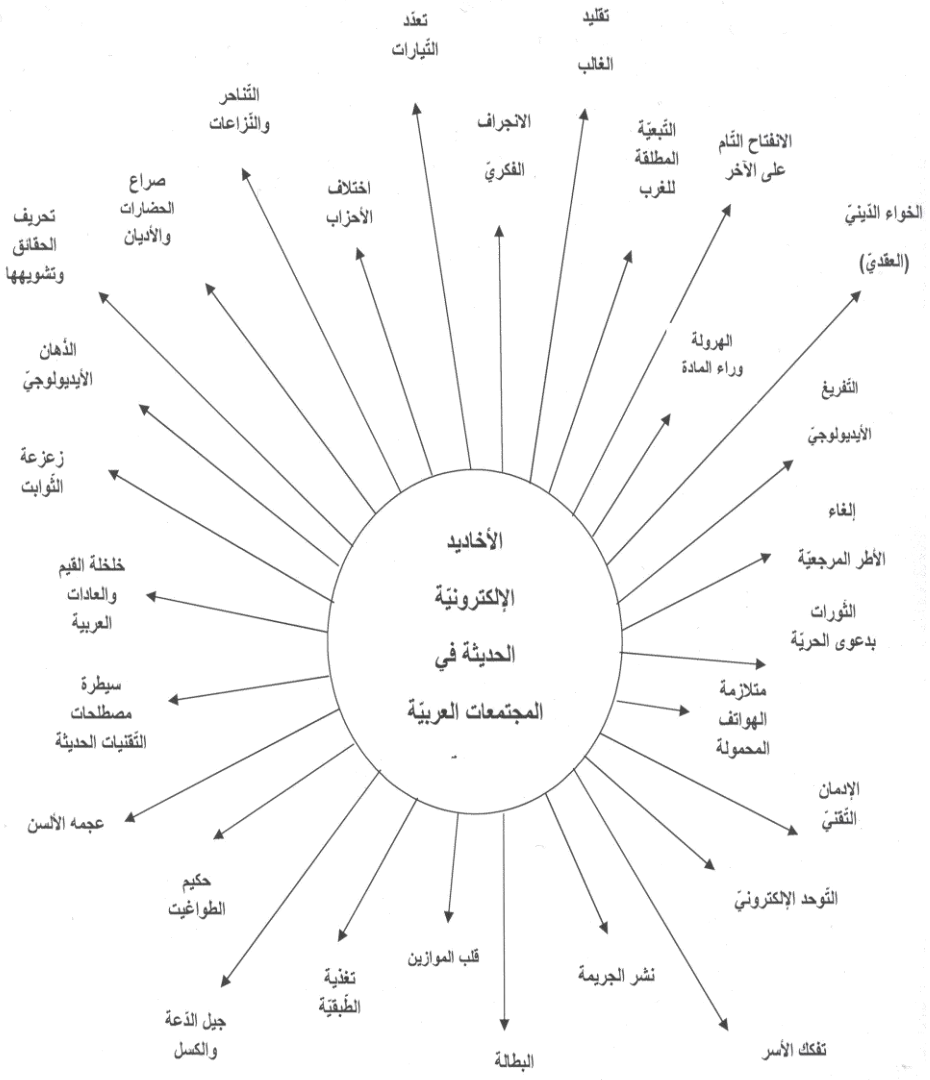
الأخاديد
الإلكترونيّة
الحديثة في
المجتمعات العربيّة
تعدّد
التّيارات
تقليد
الغالب
التّناحر
والنّزاعات
الانجراف
الفكريّ
التّبعيّة
المطلقة
للغرب
الانفتاح التّام
على الآخر
صراع
الحضارات
والأديان
اختلاف
الأحزاب
الخواء الدّينيّ
(العقديّ)
تحريف
الحقائق
وتشويهها
الهرولة
وراء المادة
الذّهان
الأيديولوجيّ
التّفريغ
الأيديولوجيّ
زعزعة
الثّوابت
إلغاء
الأطر المرجعيّة
خلخلة القيم
والعادات
العربية
الثّورات
بدعوى الحريّة
سيطرة
مصطلحات
التّقنيات الحديثة
متلازمة
الهواتف
المحمولة
عجمه الألسن
الإدمان
التّقنيّ
حكيم
الطواغيت
التّوحد الإلكترونيّ
قلب الموازين
تغذية
الطّبقيّة
نشر الجريمة
جبل الدّعة
والكسل
البطالة
تفكك الأسر

مميّزات حركة الصّفائح
المعلوماتيّة
الإلكترونيّة
في وسائل التّواصل الاجتماعيّ
فقدان السّيطرة
مواكبة النّمو التّقنيّ
تتبع آخر المستجدات
التّسييس
البثّ المتواصل
عشوائيّة التّلقّي
عدم التّقنين أو الفلترة
التّشويش الأيديولوجيّ
لا قيود أو ضوابط
العالميّة
عدم المصداقيّة
اختراق العوائق الماديّة
سيل المعلومات المتدفّق
السّرعة العالية
سيطرة القوى الإقليميّة والعالميّة
لا حدود
عدم التّمييز بين الفئات المستهدفة
الآثار المتراكمة عبر الأجيال
الفضول العربيّ المحفّز
التّضليل الإعلاميّ
الاستخفاف بالعقل العربيّ
عقوق اللّغة العربيّة
تسهيل الصّعب
تقدّم اللّغات الأعجميّة على العربيّة
المثاقفة العالميّة
تقريب البعيد
توفير الوقت والجهد
الانسياب والمرونة